مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (3)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (3) 2013

اغتراب الذات وانبهارها بالآخر في الرواية السورية

الدكتور خالد عمر يسير*
إبراهيم خليل الشبلي**

(تاريخ الإيداع 9 / 12 / 2012. قبل للنشر في 6 / 6 / 2013)

□ ملخّص □

يتناول البحث علاقة الذات بالآخر في الرواية السورية (2000–2010)عبر انبهارها به، ويقف على تحديد الأسباب التي أدّت إلى إحساس الذات بالاغتراب، ويظهر آليّات تعبير السرد الروائي عن أشكال الاغتراب الذي عانت منه الذات في ظل المواجهة الحضارية مع الآخر، والذي شكّل تحدِّيا كبيرا لها.

الكلمات المفتاحيّة:

- الذات.
- الآخر.
- اغتراب.
- انبهار.

*أستاذ مساعد– قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقيَّة– سورية.
** طالب دراسات عليا– قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقيَّة– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (3)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (3) 2013

The Self-Alienation and its Astonishment in the "Other" in the Syrian Novel

Dr. Khaled Omar Yaseer*
Ibrahim Khalil Al-Shebly**

(Received 9 / 12 / 2012. Accepted 6 / 6 / 2013)

□ ABSTRACT □

This search handles the image of the "other" in the Syrian novel, and aims to show the relationship between the self and the "other" through the focusing on the self-alienation of the "other". Also, this search analyzes the reasons leading to that feeling of self-alienation, and shows the ways of expressing the different types of alienation in the novel's context that cause the suffering of the self in its civilized battle with the "other". This battle which forms a large challenge to it.

Keywords:

- The self.
- The "other".
- alienation.
- astonishment.

*Associate Professor, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
**Postgraduate Student, Arabic Department, Faculty of Arts Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدمة:

قدّم موضوع المواجهة الحضارية بين الشرق والغرب فرصة لتطور الخطاب السردي العربي، وإنّ من الباحثين من يعدُّ مقولة (الآخر) _ من وجهة نظر سوسيولوجيّة _ مقولة مؤسّسة للرواية العربية وتطوّرها في الثقافة العربيّة المعاصرة، وهو ما وضع الشرق في مواجهة الغرب، وطرح إشكاليّة الأنثروبولوجيا الحضارية التي نشأت نتيجة حب استطلاع الثقافات الأخرى , ودراستها ودراسة مجتمعاتها على امتداد العالم [1]، ما شكّل القاسم المشترك لقراءة عدد من الروايات التي سيقف عليها هذا البحث بالدرس والتحليل.

أهميّة البحث وأهدافه :

يسعى هذا البحث إلى اختبار فاعلية الخطاب الروائي السوري في مرحلة مهمّة من مراحل عطائه في تصدّيه لمسألة المواجهة الحضارية، مثلما يتوجّه إلى وعي إمكانية هذا الخطاب في إنتاج صور متباينة غير نمطية للآخر، وإلى العلاقة التي تحكم ثنائية (الذات –الآخر) في لحظة انبهارها بالآخر، والعوامل المؤدّية لشعورها بالاغتراب.

وأمّا الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة، فنذكر منها : كتاب د. صلاح صالح (سرد الآخر , الأنا والآخر عبر الرواية السردية), ودراسة الدكتورة لطفيّة برهم **(أطياف الآخر وتشظّي الهوية، قراءة في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، 2008)** التي نُشِرت في مجلة جامعة تشرين، وتبحث هذه الدراسة في ثنائية (الذات والآخر) بوصفها إطارا مرجعيا لرواية "ذاكرة الجسد" سواء أقامت هذه الثنائية على الصراع بين الشرق والغرب أم على أساس مركزيّة الذات التي تستوعب في دلالاتها الآخرين، الذين يقعون داخل انتمائها، في مقابل الآخر الذي يقع خارج هذا الانتماء، فاتحةً السياق على أساس مثاقفة حية، تقوم على الحوار بين الذات \ الآخر لا على أساس الصراع، ودراسة الدكتور داود سلّوم **(الشخصيّة العربية في روايات أميركا اللاتينية 1995)** الذي رصد شخصيّة العربي من خلال تحليله لعدد من الروايات، وتكلّم على الشخصيّات العربيّة الكبرى والثانوية، وشرع في تحليلها، ثمّ تطرّق إلى الصور الوهميّة والصور الواقعية، ودراسة د. عبدالله أبو هيف **(صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية، 2008)** وهو بحث منشور في مجلّة جامعة دمشق، تحدَّث فيه عن مفهوم حوار الحضارات وعن الرؤى الفنيّة والفكرية لتقديم العلاقة مع الآخر في الخطاب الروائي العربي المعاصر، وتطرَّق إلى اختلال الحوار الحضاري بين العرب والمسلمين والغرب في رواية أحمد عوض "فلسطين" وعن استحضار الوقائع التاريخيَّة للحروب الصليبيَّة ودورها في رسم الخطاب الروائي المدروس.

منهجية البحث :

يفيد البحث من تقنيات تحليل الخطاب السردي؛ ليرصد صورة الذات في مواجهة الآخر وأنماطها والكيفيَّات التي قُدِّمت بها في الخطاب الروائي المدروس.

1- انبهار الذات بالآخر:

جاء في لسان العرب: "انبهر فلان، إذا بالغ في الشيء" [2]، وانبهار الذات بالآخر يعبِّر عن نقص يعتريها،[3] وهذا يشير إلى أنَّ لحظة الانبهار تصوِّر حالة من الوهن والعجز التي تعيشها الذات في مواجهة الآخر.

ويشكِّل موقف الانبهار بمنجزات الحضارة الغربية، والتقدُّم الهائل الذي حققته، ولاسيَّما بعد ثورتها الصناعيَّة فضاء مغريا لكلِّ من يبحث عن واقع مغاير لما يعيشه كثير من المفكرين، والأدباء إلى الدعوة الواضحة والصريحة إلى

السير على خطا الغرب، والأخذ بالأسباب التي قادت إلى تطوُّره وتفوُّقه على بقية الحضارات والشعوب، وهذه الدعوة تنسجم مع ما تقرره المركزيَّة الغربيَّة، التي تقول: "بالخصوصيَّة المطلقة لتاريخ الغرب الذي أنتجته عوامل خاصة داخليَّة، وأثمر عن حضارة غنيَّة ومتنوعة، ثمَّ التأكيد على أنَّ المجتمعات التي تريد أن تبلغ درجة التقدُّم التي وصل إليها الغرب، ليس أمامها إلاَّ الأخذ بالأسباب ذاتها التي أخذ بها الغربيُّون، وليس أمام تلك المجتمعات إلاَّ التخلُّص من خصوصيَّاتها الثقافيَة؛ لأنَّ تلك الخصائص هي المسؤولة عن تخلُّفها، وهي المعيقة* لتطوُّرها" [4].

وما تقرِّره المركزيَّة الغربيَّة يدعو المرء إلى أن يتساءل عن كينونة العربي، وذاتيَّته المتميِّزة وموقعه، ودوره بعد أن نعيد ما للماضي للماضي وما للغرب للغرب، فما الذي قدَّمه في الحاضر؟، وأين صوته لا صوت ماضيه؟، وأين إرادته هو لا الإرادة الأسيرة المحكومة برفض طرف على حساب طرف آخر.. ؟، وتدل هذه الأسئلة على حال الوهن والشلل الذي تعاني منه الذات العربيَّة إزاء الآخر وتفوُّقه وقوَّته زمانا ومكانا؛ إذ لا يمكن للمرء أن يتجاهل دور الذات العربيَّة دون أن يأخذ بالحسبان الحاجة إلى حسم حضاري مستقر في الحياة العربية، إذ أدَّى ذلك الوهن الذي تعاني منه الذات إلى أن تعيش صدمة كبيرة في مواجهة الآخر، تلك المواجهة التي تمخَّضت عن حالة انبهار عاشت في ظلِّها الذات أمام الآخر ومنجزاته الحضاريَّة، ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يتعدَّاه إلى انبهار الذات بمستوى التقدير والعناية التي يلمسها المرء هناك، وهذا ما عبَّر عنه الراوي في رواية (الطريق إلى الشمس)للروائي عبدالكريم ناصيف ,حين وصف حال (الأخضر) عندما بُهر بما لاقاه من حفاوة، فأخباره" مفرحة كل الإفراح.. ماإن وصل إلى باريس وقدَّم رسائل التوصية حتى وجد كل عناية وترحاب من إدارة السوربون من الدكاترة والأساتذة.. راتبه عالٍ يعيش به عيش الأمراء، مسكنه مؤمَّن، حاجاته مقضيَّة.." [5]، وبانتقال الأخضر إلى (باريس) بدأت الذات مواجهة الآخر، وهذا الانتقال يجعل المواجهة غير متكافئة، حيث اقتصرت مواجهتها على تسجيل المفارقات بين موطن الذات وموطن الآخر، والتي تراوحت بين الدهشة والانبهار [6].

2- الاغتراب :

إنَّ انبهار (الذات) بـ(الآخر) ومنجزاته الحضارية، ومقارنته بالواقع الذي نعيشه، يجعلها تعاني من اغتراب عن واقعها، ويدفعها إلى التمسك بتلابيب الآخر وما يحققه لها من استقرار وطمأنينة في مقابل الخوف والموت الذي يطاردها في موطنها، وذلك ما تقرُّ به (سليمى) في رواية (سهرة تنكرية للموتى) لغادة السمَّان ، من اغتراب تقاسيه في بيروت، حيث "تشعر في باريس أنَّ كل شيء على ما يرام، حتى لنتوهَّم أنَّنا سنعيش إلى الأبد. أمَّا في بيروت فنشعر أنَّنا سنموت غدا وعلينا أن نحيا" [7]، ووجهة النظر التي يقدِّمها السارد عبر مونولوج (سليمى) تؤكد أن حالة الاغتراب التي تقاسيها (سليمى) نابعة من انبهارها بـ (باريس) في مقابل" بيروت" مدينة الموت والآلام، ولا يقتصر الأمر على المكان؛ لأنَّ انتقال الذات من بيروت إلى باريس ليس العامل الوحيد لإحساسها بالاغتراب؛ لأنَّ الذات لا تعاني اغترابا مكانياً بين موطن الذات "بيروت"، وموطن الآخر "باريس"؛ ذلك أنَّ "بيروت" لا تختلف كثيرا عن "باريس" من حيث هي مكان؛ إذ تلقي طبيعة المكان بثقلها على الذات، فـ "بيروت"تكبِّل (الذات) وتقهرها، على العكس ممَّا تلاقيه في "باريس"، التي تبهرها، وهذا ما يجعل (الذات) تعيش اغترابها في صراع بين واقعها المعيش، وما تصبو إليه من أحلام تسعى إلى تحقيقها، تلك الأحلام التي لابدَّ من توافر شروط لتحقيقها، في مقدِّمتها "الشرط الثقافي، مركزيَّة الثقافة العربيَّة، وهي تفرض الانحصار في إطار ضيق لا تتجاوزه إلى غيره, كما ينضاف إلى الشرط الثقافي العمل السياسي الذي يكبِّل المجهود الفردي، نتيجة أسلوب القسر المفروض على النشاط الفكري، والإبداعي، والحصار المفروض على المثقف في بعض الدول العربيَّة" [8]، ويعبِّر الراوي عن وجهة نظره في هذا الخطاب عن حالة الاغتراب, وما يرافقها من خوف،

وشعور بعدم الانتماء الحقيقي للمكان الذي تعيش فيه (الذات): "خائف من مدينة أتكلَّم لغة أهلها ولا أتكلَّمها حقا" [9], فالمسألة ليست مسألة مكان وحسب؛ لأنَّ الذات لا تريد مساحة تعيش فيها، ولكنَّها تريد رقعة تضرب فيها بجذورها، و تترسَّخ فيها هويَّتها، لتبدأ بعد ذلك بالبحث عن كيانها، ويأخذ ذلك البحث تأثير الفعل على المكان ومن ثمَّ يحوّله إلى مرآة ترى فيها "الأنا" صورتها[10]، فحالة الاغتراب التي تقيسها (الذات)، ليست ناجمةً عن موقف انبهارها من الغرب ومنجزاته الحضارية، في مقابل التأخرُّ الذي يعيشه الشرق فقط، بل هو نتيجة لحالة الوهن التي تعيشها الثقافة العربيَّة، لاغترابها عن تاريخيّتها، و لعدم وعيها لموقعها في اللحظة الحضاريَّة التاريخيَّة، ماضياً و حاضراً[11].

ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، إذ يتطرَّق الخطاب الروائي السوري إلى قضيّة الاغتراب الحضاري، و المراد به اغتراب الذات عن القيم الاجتماعية التي عاشت في ظلِّها في الوطن، مع ما تلاقيه من اختلاف كبير في منظومة القيم التي تحكم سلوك الآخر في المجتمع الغربي، وهذا ما عبَّر عنه الراوي في رواية (أعدائي) لممدوح عدوان، عندما تنكّر الأخضر لوصايا أهله، و للمبادئ التي تربّى عليها، فقد أصبح شخصاً آخر في "باريس"، حيث أضحى زير النساء متخلّصاً من القيود التي كبّلته في بلاده على حدِّ تعبيره[12]، و تعيش شخصية (جاد) في رواية (أول حب آخر حب) للروائية ماري رشو الأمر ذاته، فهو مبهورٌ بالحرية في أمريكا، حيث يرى أنّه لا داعي للزواج طالما أنّه في أكثر البلاد حرية، و يسمح له بمخالطة أكثر الفتيات جمالاً[13]، ولا يقف الأمر عند الانبهار بما يتيحه المجتمع الغربي من علاقات كانت محرَّمة على الذات في موطنها، بل إنّ أحد أهمِّ الأسباب المفضية إلى اغتراب الذات، هو القمع الذي تعيشه، لأنّ القمع باختصار هو "الهدر الوجودي من خلال النفي داخل الوطن"[14]، فقد أظهرت (سليمى)، عبر المونولوج رؤية تعكس حالة الاغتراب التي تقاسيها و تجعلها لا ترى في بيروت إلّا مدينة الرعب و الموت: "ما الذي يحدث لي في هذه المدينة، ذات الشوارع المظلمة، المليئة بالجرذان، و المصابيح المكسورة، والأعقاب البشرية، و حطام السيارات، التي ما تزال تتحرَّك كالهياكل العظميَّة، و رائحة الحرب، ما تزال تفوح من الوجوه المتعبة القلقة كأنّها تنتظر باستمرار كارثةً ما..."[15]، وهذه الصورة المأساويَّة، تعكس حالة الاغتراب التي تعيشها (الذات)، فهي مطاردة ومضطهدة في وطنها، و لا تستطيع العودة إليه، لذا لجأت إلى لقاء (الآخر)، لتجعل من هذا اللقاء وسيلة للتعبير عن حجم توقها إلى الحرية والديمقراطية[16].

و إذا كان التعسّف قد دفع بـ (سليمى) إلى أن تنعت مدينتها "بيروت" بمدينة الكوابيس، و الموت، فإنّ الراوي في رواية (أعدائي) لممدوح عدوان يظهر على لسان (عارف إبراهيم) حالة الاغتراب التي تقاسيها (الذات)، فقد "كان ينتمي إلى مدينة و لغة و شعب.. وبالتدريج بدأ يدرك أنّ تلك الانتماءات دخلت في مطاوي الذاكرة. إنّه ينتمي الآن إلى الدولة العليّة"[17]، و حالة الاغتراب عن الواقع، و عن الانتماء الحضاري، تمثّل تهديداً مباشراً لـ (الذات) و هويتها و انتمائها، وهو ما وضعها في مواجهة مع (الآخر)، الذي يحاول طمسها من خلال سياسة التتريك التي اتَّبعها العثمانيون، الأمر الذي وضع الذات أمام لحظة حاسمة، فإمّا أن تقاوم وإما أن تستسلم، كما فعل (عارف إبراهيم)، ليعيش تصدّعاً في الذات، يسهم في اغترابه عن لغته و انتمائه و هويته..

ويشير (خليل الدرع) في رواية (سهرة تتكرية للموتى) لغادة السمَّان . في حواره مع (فوَّاز) إلى قضيّة القمع و القهر المسلَّط على (الذات)، و هو ما أدَّى إلى اغتراب عانى منه كثيرون: "باختصار يا فواز، الذين رحلوا ندموا، و الذين تمَّ ترحيلهم ندموا، و الذين بقوا ندموا، و الذين عادوا ندموا"[18]، فالاغتراب يحاصرهم جميعاً، من بقي و من رحل ومن رُحِّل ومن عاد، فلا مفرّ من الوقوع في أسره، و أسر ما يمارسه على (الذات) من قهرٍ و تعذيبٍ، و هو لا يقتصر على السجون فقط، بل داخل الوطن، الذي أضحى سجناً كبيراً "لا ينجو منه هارب"[19]، فقد قدّم الراوي رؤيته حول

اغتراب الذات عبر مونولوج للشرطي (إسماعيل)، الذي كان يعمل سجّاناً قبل أن يترك عمله بسبب مرضه، و قد قدّم هذا الخطاب في الرواية ملمحاً واضحاًمن ملاحم الاغتراب الذي تقاسيه (الذات) في موطنها نتيجة القمع من جهة، وصراعها مع الآخر الساعي إلى إلغائها و طمس هويتها من جهة أخرى.

وقد عانت الذات من حسّ الاغتراب في بلاد الغرب، بعد أن لاقت ما لاقته من تعذيب و تهميش في أرض الوطن لم تعد قادرةً على المواجهة الحضاريَّة؛لأنّها أصبحت موزَّعة الولاء بين رؤية سياسيَّة للوطن، و رؤية حضاريَّة وانبهاريَّة بالآخر، الذي تتمنّى السير على خطاه[20]، وهذا ما جعلها تعيش ازدواجيَّةً، عبّرت عنها الراوية في رواية (أول حب أخر حب) لماري رشو، عندما قدّمت شخصيَّة (جورجي) بقولها: "إنّه أمريكي بعقل عربي"[21]، فهو منبهرٌ بأمريكا، ويصرِّح بحبِّه لها، و لكنَّه يعيش تناقضاً وصراعاً نفسياً نتيجة الاغتراب عن وطنه، الذي دفعه إلى الهجرة و الخروج، واغترابه عن المجتمع الأمريكي وقيمه وعاداته، وهذا ما جعله يعيش صراعاً نفسياً، إذ يقاسي ازدواجيَّة في شخصيَّته.

ولا يقتصر الأمر عند حرص (الذات) على هويّتها و انتمائها، و هو ما سبَّب حالة الاختلال التي تعيشها بين انبهارها بالآخر ومنجزاته الحضارية، ومعاناتها في وطنها، بل يطرح الخطاب الروائي السوري قضيَّةً جوهريَّةً، و هي حالة الاغتراب التي عاشها ويعيشها الشعب الفلسطيني، فقد عانت الذات العربية من أزمة اغترابيةٍ منذ عشرات السنين، منذ بداية صراعها مع الآخر (الإسرائيلي)، و قد سعى الآخر إلى اقتلاع الذات من أرضها وقطع صلتها بجذورها، عبر النفي والقتل والتشريد، ليبني الكيان الصهيوني وجوده "الملفَّق الراهن على جثث أبناء المنطقة العربيَّة، و تهديم ما بنوه عبر آلاف السنين"[22]، وقد نبّه الراوي في رواية (الطريق إلى الشمس) لعبد الكريم ناصيف إلى قضية تآمر البريطانيين مع اليهود، ليجعلوا من فلسطين أرضهم المزعومة، فيقدّم (البطحيش) في حواره مع عزيز وجهة نظره في ذلك التآمر: "الانتداب البريطاني على فلسطين جاء لغايةٍ واحدةٍ: تقديم فلسطين على طبق من فضّةٍ لأبناء يعقوب.. بريطانيا وضعت خططاً سريَّةً محكمة و حكامها اليهود ينفذّون تلك الخطَّة: اضطهاد اليهود في أوروبا..طرد هتلر لهم من ألمانيا إنما كان لهدف وحيد: دفعهم للهجرة إلى فلسطين..ولكي يحققوا ذلك بيسر وسهولة يزرعون في أذهانهم أنَّ الربَّ يهوه يفتح لهم الباب على مصراعيه؛ لتحقيق حلمهم بالعودة إلى أرض الميعاد..أليسوا شعبا بلا أرض؟ إذن، ليذهبوا إلى أرض بلا شعب" [23] , وهذا ما جعل الشعب الفلسطيني يعيش طريداً, منفياً, لاجئاً, يقاسي مرارة الاغتراب.

ولا ينحصر الأمر في حدود المؤامرة الدوليَّة, والظروف التي رافقت قيام الكيان الصهيوني على أرضه المزعومة، بل يتعدَّاه إلى التخاذل الكبير من قبل العرب، الذين ترددوا في إنقاذ الشعب الفلسطيني ، وهذا مايشير إليه الراوي في رواية (هجرة السنونو) لحيدر حيدر إذ يطرح قضية الشعب الفلسطيني المطارد: "فكَّرت بهذا الفلسطيني التائه على وجه الكوكب العربي، منذ ما يزيد عن نصف قرن، الفلسطيني . الهندي المطارد والمطلوب رأسه أينما حلَّ في ديار العرب بعد طرده من بلاده.. وهاهم العرب، الملوك والأمراء والسلاطين والرؤساء ينهرونه، ينفونه كوباء مُعدٍ. وباء يلوِّث سلاحهم وأمنهم و سلطتهم وأرصدتهم . ويستر خيانتهم..، وهم هؤلاء الأوغاد باعوه منذ الهزيمة الأولى، والخروج الكبير من فلسطين وبداية التيه" [24].

وقد شكَّل الصراع الحضاري في الخطاب الروائي السوري أهمَّ عنصر من عناصر الاغتراب الذي تقاسيه (الذات), وهذا الصراع "لا يمكن أن يُفسَّر إلا في ضوء المرحلة الحضاريَّة العامَّة التي يمرُّ بها العالم العربي بوصفه جزءاً من العالم الثالث في ارتباطه بالعالم المتطوِّر, وفي ضوء البحث الدائم للإنسان العربي عن هويَّته الحقيقية, التي أصابها الكثير* من الاضطراب عندما واجهت حضارة متقدِّمة تتحدَّاها, وتريد أن تفرض عليها قيمها الخاصَّة، وحتى أشكال تعبيرها أيضاً" [25]، ليشمل الإعلام الذي يبدو مغترباً عن واقعه، عندما لايكون سوى صدى لصوت سيِّده [26],

ما يشي بحال الاغتراب التي يعاني منها الواقع العربي برمَّته، إذ تتكرَّر الصور المأساويَّة للمدن العربيَّة وعواصمها في غير موضع من الروايات المدروسة [27]. ولاسيَّما في ظلِّ القمع والظلم والقهر والاغتراب الذي تعيش الذات في أسره ، إنَّه "باختصار الهدر الوجودي من خلال النفي داخل الوطن" [28]، لكأنّهَا تعيش نفياً داخل الوطن، من خلال التهميش والإقصاء والقمع الذي تتعرَّض له (الذات)، الأمر الذي يجعل بطل الرواية يقع "أسيرا لقبضة نفي سياسي، فلا يخلص البطل لمواجهة الآخر؛ لأنَّه موزَّع الولاء بين مواجهة القضيَّة السياسيَّة داخل الوطن، ومواجهة (الآخر) الحضاري في آوروبا، ولذلك كثر التخبُّط والاستلاب والاغتراب والعبثيَّة[29].

وقد أدَّى انبهار الذات بالآخر إلى أن تغترب عن هويَّتها ولغتها، ليس في موطن الآخر فحسب، بل في موطنها كذلك، إذ أكَّد الراوي في رواية (الضغينة والهوى) لفوَّاز حدَّاد من خلال المونولوج الذي جاء على لسان (دولمونت)، الذي صوَّر سعي اللبنانيين إلى أن يتفرنسوا، إلاَّ أنَّ اللغة وحدها لا تكفي لتحقيق ذلك، إنَّهم "يتطلَّعون نحونا، وسواء كانوا عربا أو فينيقيين أو ما شاؤوا، فلن يكونوا بأي حال من الأحوال فرنسيين" [30]، وتطلُّع الذات إلى الآخر ومحاولة اللهاث وراءه، تشير إلى حال الضعف والاستلاب التي يعاني منها العربي، فقد أصبح الغربي مثالاً له في كل شيء، في الصناعة والتكنولوجيا، والعلاقات الاجتماعيَّة [31]، وقد أشار الراوي كذلك إلى كلام المفوَّض السامي إلى الأم الرئيسة في أثناء حفل لتخرُّج الطالبات؛ إذ تتالت فقرات الحفل، قصائد لفكتور هوجو وألفريد دوموسيه، مشاهد تراجيديَّة من مسرحية (مأساة طيبة) لراسين، في الاستراحة، مال المفوَّض السامي على الأم الرئيسة الجالسة إلى جواره، في الوسط بينه وبين رئيس الدولة السورية، ولفت نظرها إلى أنَّهم في لبنان، افتتحوا الحفل في مدرسة الراهبات بنشيد جماعي تغنَّت فيه الطالبات بفرنسا الأم الحنون"[32]، لهذا عكس الخطاب الروائي في سورية حال (التفرنس ،والتأمرك) التي تعيشها الذات في المواجهة الحضاريَّة مع الآخر،وهذا يدلُّ على ما تعانيه الذات من تمزُّقٍ وتصدُّعٍ ؛ إذ انفصلت عن واقعها ، لتصبح غريبةً عن هويَّتها وواقعها [33] ، والاغتراب الذي تعاني منه الذات نابع من جمودها في المواجهة الحضاريَّة مع الآخر، فالحضارة الغربيَّة "تعني التغيُّر –أي النقد– والبحث وإعادة النظر الدائمة في الأفكار السابقة، والأوضاع السابقة، ونفهم كيف أنَّها قائمةٌ على الحركة القلقة، المتسائلة، الخلَّاقة. وفي هذا الضوء نعرف، بالمقابل، كيف أنَّ الحضارة العربيَّة، بحسب النظرة التي عرضناها تعني الثبات، أي التقليد والنقل" [34].

الخاتمة :

ممّا سبق يجد الباحث أنَّ الخطاب الروائي السوري، عبَّر عن الصراع الحضاري في علاقة (الذات) بـ (الآخر)، من خلال لحظة انبهارها به و بمنجزاته الحضارية من جهة، و الواقع الذي تعيشه من جهة أخرى، ما أدّى إلى اغترابها عن واقعها، و عن هويَّتها و انتمائها، كما أشار الخطاب الروائي المدروس إلى الاغتراب الحضاري، و الذي تمثَّل في اغتراب (الذات) عن القيم والتقاليد التي عاشتها في موطنها، و اختلاف تلك المفاهيم والأعراف في الغرب، إذ تنسلخ الذات عن قيمها لتعيش لحظة اغترابيَّة، و قد صوَّرت الروايات قضيَّة مهمّةً، و هي حالة الاغتراب التي يعيشها الشعب الفلسطيني، حين أشارت إلى تآمر الأعداء عليه (اليهود و حلفاؤهم من الغرب) من جهة، و تخاذل العرب عن نصرته من جهة أخرى، الأمر الذي سبّب تشرُّد الفلسطينيين و اغترابهم منذ ما يزيد عن نصف قرن.

وقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

❖ التركيز على الاغتراب الحضاري بوصفه اغتراب الذات عن القيم الاجتماعية العربية، واتخاذ الغرب (الآخر) مثالا في كل شيء: في الصناعة, و التكنولوجيا, والقيم الاجتماعية.

❖ أسهم التهميش والإقصاء والقمع بوصفه الهدر الوجودي لكينونة الذات داخل الوطن في اغتراب الذات عن الواقع, و عن الانتماء الحضاري, وهو اغتراب يمثِّل تهديدا مباشرا للذات, ويتجلَّى في تصدُّعها تصدُّعاً يسهم في طمس ملامح هويَّتها وانتمائها.

❖ أدَّى الاغتراب المضاعَف الذي عاشته الذات في الوطن وخارجه إلى ازدواجيتها في الرواية السورية في الفترة المدروسة.

الهوامش :

1- ابن منظور ، لسان العرب ،مادة (بهر).
2- ينظر : د . البطاينة ، جودي ، شخصية الآخر في الرواية في الأردن ، ص49 .
* هكذا وردت في الأصل.
3- د. إبراهيم ، عبدالله ، المركزية الغربية ، ص 33 .
4- ناصيف ، عبدالكريم ، الطريق إلى الشمس ، ص125 .
5- ينظر : التلاَّوي ، محمد نجيب ، الذات والمهماز ، ص53 .
6- السمَّان ، غادة ، سهرة تنكريَّة للموتى، ص158 .
7- شرشار ، عبدالقادر ، خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي – الإسرائيلي،ص30.
8- السمَّان ، غادة ، سهرة تنكريَّة للموتى ، ص 7 .
9- ينظر : لوتمان ، يوري ، مشكلة المكان الفني ، ترجمة سيزا قاسم ، ص63 .
10-ينظر : سيف ، أنطوان ، وعي الذات وصدمة الآخر ، ص25 .
11-ينظر : عدوان ، ممدوح ، أعدائي ، ص132.
12-ينظر: رشُّو ،ماري،أول حب آخر حب،ص94.
13-حجازي ، مصطفى،الإنسان المهدور ،ص253.
14-السمَّان ، غادة ، سهرة تنكريَّة للموتى، ص189.
15-ينظر: التلاوي ، محمد، نجيب، الذات والمهماز، ص73.
16-عدوان ممدوح ، أعدائي ، ص125.
17-السمّآن ، غادة، سهرة تنكريَّة للموتى، ص282.
18- = = = = = ص75.
19-ينظر: التلاوي ، محمد نجيب، الذات والمهماز، ص179.
20-رشُّو ،ماري، أول حب آخر حب،ص104.
21-صالح ، صلاح، سرد الآخر ، الأنا و الآخر عبر اللغة السردية ، ص197.
22-ناصيف ، عبدالكريم ،الجوزاء، ص103.
23-حيدر ، حيدر ، هجرة السنونو ، ص277.
24-لحميداني ، حميد ، الرواية المغربيَّة ورؤية الواقع الاجتماعي، ص546.
* هكذا وردت في الأصل.

25- ينظر: الداقوقي ، إبراهيم ، صورة الأتراك لدى العرب،ص11.

26- ينظر على سبيل المثال: (جنود الله) ص163 ، و (هجرة السنونو) ص166-167و223، و(أعدائي)ص91، و(سهرة تتكرية للموتى) ص7،وص72.

27- حجازي ، مصطفى ، الإنسان المهدور ، ص253 .

28- التلاوي ، محمد نجيب ، الذات و المهماز ، ص266 .

29- حداد ، فواز ، الضغينة و الهوى ، ص131 .

30- ينظر : الزعبي ، هاني ، الذين يحضرون غيابهم ، دراسة بنيوية جدلية في المجتمعات العربيَّة ، منشورات عويدات ، بيروت . باريس ، ط1 ، 1982 ، ص29 .

31- حداد ، فواز ، الضغينة و الهوى ، ص116 .

32- بيطار، سالم ، اغتراب الإنسان ، ص33 .

33- أدونيس ، الثابت و المتحول ، صدمة الحداثة ، ص242 .

المراجع:

1- إبراهيم، عبدالله، المركزية الغربية، ط1، المركزالثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،1997.

2- أدونيس، علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحوِّل ، ط1، دار العودة ، بيروت ، 1978.

3- بطاينة، جودي، شخصية الآخر في الرواية في الأردن، ط1، الوراق للطباعة والنشر، عمَّان 2004.

4- بيطار، سالم ، اغتراب الإنسان ، ط1 ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان 2001.

5- التلاوي، محمد نجيب، الذات والمهماز، دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998.

6- حجازي, مصطفى,الإنسان المهدور، ط1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت 2006.

7- حداد ، فواز ، الضغينة والهوى ، ط1, دار كنعان للطباعة والنشر ، دمشق 2010.

8- حيدر , حيدر ، هجرة السنونو ، ط1 , دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2008.

9- الداقوقي, إبراهيم، صورة الأتراك لدى العرب، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2001.

10- رشُّو ، ماري, أول حب آخر حب ، ط1 , دار الحوار ، اللاذقية 2002.

11- الزعبي, هاني, الذين يحضرون غيابهم, دراسة بنيوية جدلية في المجتمعات العربية, ط1, منشورات عويدات، بيروت، باريس1982.

12- السمَّان , غادة , سهرة تتكريَّة للموتى , ط1 , منشورات غادة السمَّان , بيروت 2003.

13- سيف, أنطوان، وعي الذات وصدمة الآخر في مقولات العقل الفلسفي العربي, ط1, دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2005.

14- شرشار، عبدالقادر, خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي الإسرائيلي, ط1, مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005.

15- صالح, صلاح, سرد الآخر, الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ط1, المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء, بيروت 2003.

16- عدوان , ممدوح , أعدائي , ط1 , دار المدى للطباعة والنشر , بيروت 2000.
17- لحميداني, حميد، الرواية المغربيَّة ورؤية الواقع الاجتماعي, ط1, دار الثقافة, والدار البيضاء1985.
18- لوتمان, يوري, مشكلة المكان الفنِّي, ط2, ترجمة سيزا قاسم، عيون المقالات، الدار البيضاء 1988.
19- مارشال , جوردن , موسوعة علم الاجتماع , ترجمة أحمد عبدالله زايد وآخرين , المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة , ط1 ، 2000.
20- ابن منظور ، لسان العرب ، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي , ط3 , دار إحياء التراث العربي , بيروت 1999.
21- ناصيف, عبد الكريم, الطريق إلى الشمس (الجوزاء), منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق 2000.